

فتح القدير

100 - { رفع أبويه على العرش } أي أجلسهما معه على السرير الذي يجلس عليه كما هو عادة الملوك { وخروا له سجدا } أي الأبوان والأخوة والمعنى : أنهم خروا ليوسف سجدا وكان ذلك جائزا في شريعتهم منزلا منزلة التحية وقيل لمن يكن ذلك سجودا بل هو مجرد إيماء وكانت تلك تحيتهم وهو يخالف معنى : وخروا له سجدا فإن الخور في اللغة المقيد بالسجود لا يكون إلا بوضع الوجه على الأرض وقيل الضمير في قوله له راجع إلى اﷻ سبحانه أي وخروا ﷻ سجدا وهو بعيد جدا وقيل إن الضمير ليوسف واللام للتعليل : أي وخروا لأجله وفيه أيضا بعد وقال يوسف { يا أبت هذا تأويل رؤياي } يعني التي تقدم ذكرها { من قبل } أي من قبل هذا الوقت { قد جعلها ربي حقا } بوقوع تأويلها على ما دلت عليه { وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن } الأصل أن يتعدى فعل الإحسان إلى وقد يتعدى بالباء كما في قوله تعالى : { وبالوالدين إحسانا } وقيل إنه ضمن أحسن معنى لطف بي محسنا ولم يذكر إخراجهم من الجب لأن في ذكره نوع تثريب للأخوة وقد قال : لا تثريب عليكم وقد تقدم سبب سجنه ومدة بقائه فيه وقد قيل إن وجه عدم ذكر إخراجهم من الجب أن المنة كانت في إخراجهم من السجن أكبر من المنة في إخراجهم من الجب وفيه نظر { وجاء بكم من البدو } أي البادية وهي أرض كنعان بالشام وكانوا أهل مواش وبرية وقيل إن اﷻ لم يبعث نبيا من البادية وأن المكان الذي كان فيه يعقوب يقال له بدا وإياه عنى جميل بقوله : .
(وأنت الذي حبت شعبا إلى بدا ... إلي وأوطاني بلاد سواهما) .
وفيه نظر { من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي } أي أفسد بيننا وحمل بعضنا على بعض يقال نزع إذا نخسه فأصله من نخس الدابة ليقوى مشيها وأحال يوسف ذنب إخوته على الشيطان تكريما منه وتأديبا { إن ربي لطيف لما يشاء } اللطيف الرفيق قال الأزهري : اللطيف من أسماء اﷻ تعالى معناه الرفيق بعباده يقال لطف فلان بفلان يلطف : إذا رفق به وقال عمرو بن أبي عمرو : اللطيف الذي يوصل إليك أريك في لطف قال الخطابي اللطيف هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقيل اللطيف العالم بدقائق الأمور ومعنى لما يشاء : لأجل ما يشاء حتى يجيء على وجه الصواب { إنه هو العليم الحكيم } أي العليم بالأمور الحكيم في أفعاله ولما أتم اﷻ نعمته على يوسف عليه السلام بما خلصه منه من المحن العظيمة وبما خوله من الملك وعلمه من العلم تاقت نفسه إلى الخير الأخرى الدائم الذي لا ينقطع